وبرا بوالدتي

تأليف

منصور بن عبد العزيز العجيان

مصدر هذه المادة:







بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

قال تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَـــقِيًّا﴾ [مــريم: ٣٢].

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من أحـــق النـــاس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال ثم من؟ قال: «**أمك**» قـــال ثم من؟ قال: «**أمك**» قال ثم من؟ قال: «**أبوك**» رواه مسلم.

وفي هذا عظم حق الأم على الوالد حيث جعل لها ثلاثة حقوق وذلك أنها صبرت على المشقة والتعب ولاقت من الصـــعوبات في الحمل والوضع والفصال والرضاع والحضانة والتربية الخاصة مـــا لم يفعله الأب، وجعل للأب حقًا واحدًا مقابل نفقته وتربيته وتعليمـــه وما يتصل بذلك.

لأمـــك حـــق لـــو علمـــت كـــثير
كـــثيرك يـــا هـــذا لديـــه يســـير
فكـــم ليلـــة باتـــت بثقلـــك تشـــتكي
لهـــا مـــن جواهـــا[1] أنـــة وزفـــير
وفي الوضـــع لا تـــدري عليهـــا مشـــقة

(١) جواها: حرقة وشدة الوجد.

فمـــن غصـــص [1] منـــها الفـــؤاد يطـــير
وكـــم غســـلت عنـــك الأذى بيمينـــها
ومـــا حجرهـــا إلا لـــديك ســـرير
وكـــم مـــرة جاعـــت وأعطتـــك قوتهـــا
حنانًـــا وإشـــفاقًا وأنـــت صـــغير
وتفـــديك ممـــا تشـــتكيه بنفســـها
ومـــن ثـــديها شـــرب لـــديك نمـــير [2]
فضـــيعتها لمـــا أســـنت جهالـــة
وطـــال عليـــك الأمـــر وهـــو قصـــير
فآهًـــا لـــذي عقـــل ويتبـــع الهـــوى
وآهًـــا لأعمـــى القلـــب وهـــو بصـــير
فـــدونك فارغـــب في عمـــيم دعائهـــا
فأنـــت لمـــا تـــدعو إليـــه فقـــير

إن بر الأم من أعظم الأجور، ومن أهم الواجبات، بل هو من التقوى والعمل بما يرضي الله وذلك بالإحسان إليها قـولاً وفعـلاً بالمال والبدن وبكل ما تملكه الكلمة تمتثل أمرها في غير معصية الله، وتلين لها القول وتبسط لها الوجه وتقوم بخدمتها على الوجه اللائق بها، ولا تتضجر منها عند الكبر والمرض والضعف ولا تستثقل ذلك منها ولا تقل لها أُف، ولا تنهرهما وتذكر أنك ستبلغ الكبر عنـد

(١) غصص: الشجيء.
(٢) نمير: العب الصافي.

أولادك كما بلغاه عندك وسوف تحتاج إلى البر؛ فإن قمت ببرهمـــا فأبشر بالأجر العظيم، والمجازاة بالمثل، فمن بر والديه بَـــره أولاده، ومن عقّ والديه عقّه أولاده والجزاء من جنس العمل. فكما تـــدين تُدان، رأى ابن عمر رجلاً قد حمل أمه على رقبته، وهو يطوف بها حول الكعبة. فقال: يا ابن عمر أتراني جازيتها؟ قال: ولا بطلقة من طلقاتها ولكن قد أحسنت والله يثيبك على القليل كثيرًا.

إني لهـــا بعيرهـــا المـــذلل إن ذُعرت ركابها لم أذعـــر

قال سفيان بن عيينة: قدم رجل من سفر فصادف أمه قائمـــة تصلي فكره أن يقعد وأمه قائمة فعلمت ما أراد فطولت ليؤجر.

أخي الحبيب: اعلم أن من عقّ أمه فإن الله لا ينظر إليه يـــوم القيامة ولا يقبل منه عملاً، عن ابن عمر، رضي الله عنـــهما عـــن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العـــاقّ لوالديه، ومدمن الخمر، والمنّان**» «**وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقّ لوالديه، والديوث، والرجلة**» رواه النسائي والحاكم، وعـــن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يقبـــل الله عز وجل منهم صرفًا ولا عدلاً: عاق، ومنان، ومكذب بالقدر**» رواه ابن أبي عاصم بإسناد جيد.

وتأمل أخي الحبيب كيف وصّى سبحانه عبـــاده الصـــالحين وكيف قرن عبادته بحق الوالدين لعظم شأنهما و تقـــديرهما قـــال تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُـــلْ**

﴿لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّــي ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء ٢٣، ٢٤].

الأم: سبب لوجودك بعد الله ولها عليك غاية الإحســـان والله سبحانه له الخلق والإيجاد وللوالدين نعمة التربية والإيلاد.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث آيات مقرونات بثلاث لا تقبل واحدة بغير قرينتها وهي قوله تعالى: **﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُــوا الرَّسُــولَ﴾** فمن أطاع الله و لم يطع الرسول لم يقبل منه **﴿وَأَقِيمُــوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾** فمن صلى و لم يُزك لم يقبل منه **﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾** فمن شكر الله و لم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

الأم: مصدر السعادة والراحة والأمان، والإلفة والاطمئنان ولها عظيم الشأن.

تأمل رحمك الله حال صغرك وتذكر ضعفك أثناء طفولتـــك، فقد حملتك أمك في أحشائها تسعة أشهر وهنًا على وهن حملتـــك كرهاً ووضعتك كرهًا ولا يزيدها نموك إلا ثقلاً وضـــعفًا، وعنـــد الوضع رأت الموت بعينها ولما بصرت بك إلى جنبها ســـرعان مـــا نسيت كل آلامها، وعلقت فيك جميع آمالها رأت فيك بهجة الحياة وزينتها. ثم شغلت بخدمتك ليلها ونهارهـــا، تغـــذيك بصـــحتها، طعامك درها، وبيتك حجرها، ومركبك يداها وصدرها وظهرهـــا تحيطك وترعاك، تجوع لتشبع أنت، وتسهر لتنام أنت، فهي بـــك رحيمة، وعليك شفيقة إذا غابت عنك دعوتها وتبكـــي لفقـــدها، وتسعد لرؤيتها، ولا تنام إلا بحجرها، ولا تسعد إلا بلقائها، عندما

تدخل المنزل أول ما تسأل عنها، تبحث عنها في كل مكان، كي تراها وهي تنظر إليك بعين الحب والمودة، وإذا أعرضـــت عنـــك ناجيتها، وإذا أصابك مكروه استغثت بها بعد الله، تحسب كل الخير عندها، وتظن أن الشر لا يصل إليك إذا ضمتك إلى صـــدرها، أو لحظتك بعينها، لا تنكر إحسانها إليـــك، ولا تعجـــب بشـــبابك وفتوتك، ولا يغرك تعليمك وثقافتك، ولا ترتفـــع بجاهـــك ولا منصبك عنها، ولا تؤذيها بالتأفف والتبرم، ولا تجاهرهـــا بالســـوء والفحش والقول ولا تقهرها ولا تنهرها فأنت محتاج إليها، لتزفك يوم ما وتدعو لك فإن دعاءها لك مستجاب:

يا حبـــذا ريـــح الولـــد ريح الخزامـــى في البلـــد

أهكـــــذا كـــــل ولـــــد أم لم يلـــد قبلـــي أحـــد

الأم: إن برها من الأمور التي جبل الله عليها بني آدم وفطرهـــا عليها وقد اتصف الأسوياء منهم وأكملهم وهم الأنبياء والمرسلون ومن بعدهم من العباد الصالحون.

فهذا نبي الرحمة والشفقة عليه الصلاة والسلام يأتي عام الحديبية وقد مر بالأبواء حيث دفنت أمه ومعه أصحابه فيذهب لزيارة قبرها فيبكي ويبكي من حوله فيقول: «**استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنهـــا تذكر الآخرة**» رواه مسلم.

وهذا أبو الأنبياء خليل الرحمن يخاطب أباه بلطف وإشفاق بالغ داعيًا إياه إلى الهدى رغم إيذائه له ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ**

مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤].

وهذا يحيى عليه السلام يجوز ثناء الله تعالى ويمدحـه بوصـفه عظيم البر ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ [مـريم: ١٤].

وقد ذكر الله سبحانه دعاء الأنبياء لوالديهم في غير ما آية من كتابه الكريم ومن ذلك دعاء نوح عليه السلام ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨].

ومن دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١] ومن عظـيم الـبر لسلفنا الصالح.

كان أبو هريرة رضي الله عنه: إذا أراد الخروج وقف على باب أمه فيقول: السلام عليك يا أماه؟ فتقول: وعليك السلام يا ولدي ورحمة الله وبركاته، فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيرًا، فتقول: رحمك الله كما بررتني كبيرًا.

هذا محمد بن المنكدر رحمه الله كان يضع خده على الأرض، ثم يقول لأمه: ضعي قدمك على خدي. سير الأعلام وقال أيضًا بات أخي عمر يصلي وبت أغمز قدم أمي وما أحب أن ليلتي بليلته.

وذكر محمد بن سيرين أنه ما كلم أمه إلا وهو يتضرع وقـال الأخنسي سمعت أبا بكر يقول: كنت مع منصور بن المعتمر جالسًا في منزله فتصيح به أمه كانت فظة عليه، فتقول: يا منصور يريـدك ابن هبيرة على القضاء فتأبى وهو واضع لحيته على صدره ما يرفـع

طرفه إليها (تعظيمًا وإجلالاً) لها. وأراد ابن الحسن التميمي قتـــل عقرب، فدخلت في حجر فأدخل أصابعه خلفها، فلدغته فقيل له في ذلك، قال خفت أن تخرج فتجيء إلى أمي تلدغها.

وعن ابن عون المزني: أن أمه نادته فأجابها: فعلا صوته صوتها، فأعتق رقبتين.

وعن أنس بن النضر الأشجعي قال طلبت أم ابن مسعود ماء في بعض الليالي فجاءها بالماء وقد ذهب بها النوم، فثبت بالماء عنـــد رأسها حتى أصبح.. وهذا محمد بن الحنفية يمشط شعر أمه، وقـــال محمد بن عثمان أردت الخروج إلى بلد آخر فمنعتني أمي فأطعتـــها فبورك لي في ذلك، وكان زين العابدين من أبر الناس بأمه وذلك أنه لا يأكل معها في صحفة وعندما قيل له في ذلك قال: أخـــاف أن تسبق يدي إلى ما تشتهيه فأكون قد عققتها وقد أخبرنا رسول الله ﷺ عن خير التابعين أويس القرني لو أقسم على الله لأبره وذلـــك لبره بأمه.

وغير ذلك من صور البر العظيمة قال الإمام الشافعي رحمه الله:

أطـــع الإلـــه كمـــا أمـــر وامـــلأ فـــؤادك بالحـــذر
وأطـــــع أبـــــاك فإنـــــه ربـــاك في عهـــد الصـــغر
واخضع لأمك وارضـــها فعقوقها إحـــدى الكـــبر

إن من العجب العجاب أن ترى أُناسًا قد أحاطت بهم الأرزاق من كل جانب وارتفع مستواهم الاجتماعي والمادي و المعنـــوي، وعاشوا في الترف وطغوا وبغوا وتكبروا على أمهاتهم وأعمتْ الدنيا

أبصارهم وطمست على قلوبهم وعقوا أمهاتهم بسبب الحرص على الدنيا وحب الشهوات، والزوجة الحسناء التي لا تفقه في دينها ولا دنياها، وقد أجاد الكثير في ذلك حيث تبرأ أحدهم من أمه وألقـى بوالدته في المراكز الاجتماعية، وقذف أحدهم والدته عبر الطرقات، ووضع أحدهم أمه بجانب النفايـات، ورمـى بعضـهم أمـه في المستنقعات ودعا أحدهم على والديه بالموت والهلاك، وطرد كـل من الزوجين أمه في أماكن غير معروفة، وسب أحـدهما والدتـه ولعنها وطردها، وكأنها بهيمة والآخر يتمنى فراق والدته بمشورة من زوجته.

وهذا آخر يضرب أمه على وجهها بسبب إيقاظـه لصـلاة الفجر، والآخر لا يحب أمه ويحتقرها ويقول لها أنت صهيونية وغير ذلك كثير من العقوق والمظاهر السيئة.

فلا تطع زوجة في قطـع والـدة عليك يا بن أخي قد أفنت العمرا

فكيف تنكر أمًا ثقلت احتملت وقد تمرغت في أحشائها شهرًا

جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضـي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**من الكبائر شتم الرجل والديه**» يعـني سبهما ولعنهما وفي رواية أخرى «**لعن الله من لعن والديه**» قـالوا كيف يا رسول الله؟ قال: «**يسب الرجل أبا الرجل فيسب أبـاه، ويسب أمه فيسب أمه**» ولا تزر وازرة وزر أخرى قـال تعـالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

أهكذا تكافأ الأم ويبر الوالد، وهـــل جـــزاء الإحســـان إلا الإحسان؟ ألا تعلم أيها المسكين أنها سبب في وجـــودك؟ تأمـــل.. حالها وهي سعى لراحتك، وأنت نطفة في بطنها وتحذر مما يضرها، فلا يكون طعامك إلا ما يثبتها في القرار، ويغـــذوها في النشـــوء، وتترك الشهوات اللذيذة، والأطعمة الشهية إذا كان يضر بالنطفـــة وتترك الأشغال والتردد في قضاء الأوطار والمشي في الطرقات وحمل الأثقال إشفاقًا على النطفة وهي نطفة، إنها معاناة وطويلة أتى بعدها فجر تلك الليلة التي لم تنم فيها و لم يغمض لها جفن، ونالها من الألم والشدة والرهبة والخوف ما لا يصفه قلم ولا يتحدث عنه لســـان، اشتد بها الألم حتى عجزت عن البكاء، ورأت بأم عينـــها المـــوت مرات ومرات، حتى خرجت إلى الدنيا فامتزجت دموع صـــراخك بدموع فرحها وأزالت كل الألم والجراح، وقد مـــرت ســـنوات عمرها وهي تحملك في قلبها وتغسلك بيدها وجعلت حجرها لك فراشًا وصدرها غذاء وتسعد لترى ابتسامتك، وسرورها أن تصنع لك شيئًا وسعادتها بفرحك، ومن يوم أن تلد إلى يوم أن تستقل لا يُحمل للمنزل من الطعام إلا ما يلائمك، وإن كان غـــير محبـــوب عندها فتترك محبوبها كرامة لك، ثم تنتصب لتربيتك وجلب المنـــافع لك، ودفع المضار عنك، ولو تركت في الأرض أكلتـــك الهـــوام و عقرتك الحشرات، فلا تزال تطلب رضاك حتى يبدو تميزك، إلى أن بكيت أو حزنت خدعتك عن البكاء، وصـــرفت عنـــك الحـــزن والأسى، ولقد بلغ من أمرها في تطييب نفسك وإقرار عينك ودفع ما يضيق به صدرك، مبلغًا لا تجازيها عليه أبدًا وكيـــف لا وقـــد

عملت من أجل راحتك وسعة صدرك وتمر الليالي والأيـام وهـي خادمة لك، وعاملة لك وداعية لك بالخير، تنتظر يوم شبابك ويوم لقائك ويوم رجولتك ويوم زواجك فتفرح لزفافك ويتقطع قلبـها حزنًا على فراقك فلما ترعرع جسمك واشتد أمرك وبلغت سـن الرجاء والأمل جازيت بالإحسـان إسـاءة، وبالوصـل قطيعـة وبالتواضع غلظة وفظاظة، وبالتربية جفاء وبعـدًا وبالمحبـة نفـورًا وبالبذل والعطاء منعًا وبخلاً، فقطعت ما أمر الله بـه أن يوصـل، ومنعت ما أمر الله به أن يبذل، وكم ليلة باتت تسـهر لسـهرك، وتبكي لألمك، وتغضب لهمك وحزنك، ويضيق صدرها لضـيقك وغضبك، وتدبر إذا قالت لك أقبل، كأنـك موكـل بخلافهـا، ومنتصب لعقوقها، فقابلت كل نعمة أفاضت بها عليك ومعـروف أسدلته لك بضدها من الشر والضر.

فوا عجبًا لهذا الميزان الناقص والجزاء الفاضح.. وأقل ما كـان يجب لها عليك إذا عجزت عن الشكر الزائد على الصنيعة بـذل المكافأة المقاومة للصنيعة.. وقد ربتك سنوات طويلة في حجرهـا وبيتها، تفيض نجاستك عليها فتغسلها بيديها، تمـيط الأذى عنـك والمكروه بجهدها، فلما بلغت الكبر وبلغت عندك الكبر ذهبت قوتها ونقص عقلها وضعف حالها أصبحت منها بعيدًا وبـالجزاء سـيئًا وبالمعروف منكرًا.. وتأمل لو فعلت ذلك وقمت بحقها وعملت بها كما عملت بك صغيرًا حتى كبرت، و أحسنتَ لها وأديتَ معروفها كيف يكون الجزاء في الدنيا والآخرة ﴿وَقُلْ رَبِّي ارْحَمْهُمَـا كَمَـا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ وذلك في حياتها وبعد موتها فابـذل جـل وقتـك

لرضاها واسعًا جاهدًا واتبع خطاها، فهي أمك ولا تــزال أمــك، فعليك ببرها وحبها وملاطفتها، واسمع كلامها ومودتها وصـــحبتها وقبل رأسها في كل وقت، وأحسن إليها وزرهـــا واســتغفر لهـــا وتصدق عنها، وادع لها وشاركها في عمل الخير ووفِ لها الـــدين، وأحسن لجارها وصل أقاربها ونفذ وصيتها واقض النذر عنـــها، و صم وحج عنها، وزر قبرها وبر صديقتها وأختها فهو من أعظـــم البر بعد وفاتها فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أتى الـــنبي ﷺ رجل فقال: إني أذنبت ذنبًا عظيما فهل لي من توبة؟ فقال له: «**هل لك من أم؟**» قال: لا، قال: «**فهل لك من خالة؟**» قال: نعم قال: «**فبرها**» رواه أبو داود صحيح.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**الخالة بمنزلة الأم**».

غدوتك مولودًا وعلتك يافعًا — تعلّ بما أجني عليــك وتنـــهل
إذا ليلة ضاقتك بالسقم لم أبت — بسقمك إلا ســاهرًا أتملمـــل
كأني أنا المطروق دونك بالذي — طرقت به دوني وعيني تهمـــل
فلما بلغت السن والغاية الـــتي — إليك مدى ما كنت فيك أؤمل
جعلت جزائي غلظة وفظاظـــة — كأنك أنت المـــنعم المتفضـــل
فليتك إذا لم ترع حق أبـــوتي — فعلت كما الجار المجاور يفعل
فأوليتني حق الجوار ولم تكـــن — علي بمالي دون مالك تبخـــل

إن الإحسان إلى الأم له فضائل وثمرات ومنها قبـــول العمـــل وتكفير السيئات وإجابة الدعوة، بل هو الحق الثاني بعد حـــق الله ورسوله ومن أحب الأعمال إلى الله، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه

قال: «**إن أحب الأعمال إلى الله: الصلاة علـــى وقتـــها ثم بـــر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله**». انظر إلى هذا الأجر العظيم دون قطع الرقاب وضرب الأعناق.

ومنه أيضًا انشراح الصدر وطيب الحياة وســعادة في الــدنيا، وزيادة في العمر وتفريج الكربات وذهاب الهموم والأحزان، وبركة في المال والأولاد وتيسير الأعمال وحفظ الأوقات، عن أنس بـــن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» وأما في الآخرة جنة عرضها السماوات والأرض، جاء عن معاوية بن جاهمة رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ أستشيره في الجهاد.

فقال لي: «**ألك والدان؟**» قلت: نعم، قال: «**الزمهما فـــإن الجنة تحت رجليهما**» صحيح.

وغير ذلك من الأجور العظيمة والفضائل المثمرة في فضل ذلك الكائن الفريد.

عليك ببر الوالـــدين كليهمـــا وبر ذوي القربى وبـــر الأباعـــد

ولتعلم أخي المحب أن هذا المخلوق البسيط، الذي تملكه وتحيط به وتسعى لخدمته وتحرص لمرضاته بعد رضى الله ورسوله وتبذل ما في وسعك كي ينام قرير العين ما هو إلا عنصر بشري فيـــه مـــن الأنس والشوق والمحبة والتوق.

نبضات.. نبضات..

أماه.. إني أشتاقك كما تُشتاقُ الجنـــان، وإن لم تتقـــدم لهـــا العينان، فقد كنت أسعد بلقائك، وأسر بسماع أخبارك، ولا زلت في وفاء جارك، وكل ذا من أفضالك، فكلما خطرتي ببالي أتـــذكر أيامي ويزداد إليك شوقي، فشوقي إليك رهـــين قلـــبي، وقـــرين صدري، و تفريخ صبري، وسمير ذكري، ونديم فكري، وزادي في سفري، و عتادي في حضري، أماه.. فراقك لي حسرة مع عظـــيم الحرقة، ومع قليل البعد، كثير الوجد، قد ثنيت بجسم ناحل وصرت من صبري على مراحل، فأسهرتني، وفرقت جميع وقتي، وفرقت بين عيني والرقاد، وجنبي والمهاد، فقد طال بي الانتظار، وجـــل عـــن الكيف الانحصار فصورتك أمامي ويبقى اسمك عالقًا بلساني فكـــم من أيام قضيناها وليال سهرناها، ودموع ذرفناها، وعيونًا سكبناها، وخيامًا سكناها، وأوقاتًا جلسناها، وقصصًا ذكرناهـــا ومواقـــف حكيناها فكانت نسمات واضحة، وبسمات صارحة، فيهـــا مـــن السرور والهيام، والأنس والغرام، وما هـــي إلا أيـــام فأصـــبحت كالأحلام، وفارق الحب والخيام، ذلك الأنس والوجدان:

إن الأمور إذا التـــوت وتعقـــدت
جاء القضاء من الكـــريم فحلـــها
فلعل يســـرًا بعـــد عســـر علـــها
ولعل مـــن عقـــد العقـــود يحلـــها

الأم.. تبقى كما هي في حياتها وبعـــد موتهـــا وفي صـــغرها وكبرها، فهي عطر يفوح شذاه وعبير يسمو في علاه، وزهر يشـــم رائحته الأبناء، وأريج يتلألأ في وجوه الآباء. ودفء وحنان وجمال

وأمان، ومحبة، ومودة، ورحمةٌ وألفةٌ وأعجوبةٌ ومدرسةٌ، وشخصية ذات قيم ومبادئ وعلو وهمم، وهي المربية الحقيقية لتلك الأجيـــال الناشئة.

الأم مدرســـــة إذا أعــــددها أعددت شعبًا طيب الأعراق

و لم تكن الأم وحدها تحمل تلك الصفات الرائعة التي تجعلـــها تتفوق على كل الكائنات فهي ليست كسائر المخلوقات، بل هـــي صنف آخر يحمل بين جانبيه جل المعاني السامية وكـــل الصـــفات الحميدة.

الأم: وما أدراك ما الأم.. إنها إحساس ظريفٌ وهمس لطيف، و شعور نازف بدمع جارف. الأم.. جمال وإبداعٌ وخيالٌ وإمتـــاعٌ، وجوهرةٌ مصونة ولؤلؤةٌ مكنونةٌ، الأم.. كنز مفقـــود لأصـــحاب العقوق. وكنز موجود لأهل البر والودود، الأم.. هي قسيمة الحياة، وموطن الشكوى، وعماد الأمر، وعتادُ البيت، ومهبطُ النجاة، وهي آية الله ومنته ورحمته لقوم يتفكرون.. الأم.. صفاء القلب ونقـــاء السريرة، ووفاء وولاء، وحنان وإحسان،وتسلية وتأســـية وغيـــاث المكروب ونجدة المنكوب، وعاطفة الرجال، ومدار الوجدان، وسر الحياة، ومهج الغضب، ومعقد الألفة، ومجتلى القريحـــة، ومطلـــع القصيدة، وموطن الغناء، ومصدر الهناء، ومشرق السعادة.

الأم.. أشد أمم الأرض بأسًا وأسماها نفسًـــا وأدقهـــا حسًـــا وأرسخها في المكرمات أقدامًا وأرفعها في الحادثات أعلامًا وأقرهـــا في المشكلات أحلامًا وأمدها في الكرم باعًا وأرحبها في المجد ذراعًا.

الأم.. كوكب مضيء بذاته، ويسمو في صوره وسماته، وأجمل بلسمًا في صفاته، ولها منظرًا أحلى من نبراته، ونفس زكية طـــاهرة بصلاته، وجسمًا غريبًا يبهر في حجابه، وعيونًـــا تـــذرف الحـــب بزكاته، جدها عبرة، ومزحها نزهة، نخلة عذبة وشـــجرة طيبـــة، ومخزن الودائع، ومنبع الصنائع، الأم.. نعم الجليس، وخير الأنيس، ونعم القرين في دار الغربة، ونعم الحنين في ساعة القربة، الشـــوق إليها لا يوصف كأنه يغدو، ويروح كالطير يمشي وهو مـــن الألم وهم مذبوح، فقد أودع الله في وجههًا نورًا وجمـــالاً، وحـــديثها سرورًا وآمالاً فليت شعري.. ماذا أصنع في شوق أنا مدفوع إليـــه من صادق المحبة، وعوامل الألفة والمودة:

أخي الحبيب: وبعد أن عرفت قدر الأم وما لها مـــن مكانـــة عظيمة في حياتك وما لها من خاصية متميزة تسمو في تلك السعادة الحقيقية التي تسعى من أجلها، تأمل معي رحمك الله، كيف تكون مكانة الأم.. عظيمة لما لفضلها وعظيم تربيتها.. فهي تجتهد لـــيلاً ونهارًا لمصلحتك، وتعمل بقدر إمكانيتها على تحديد قرارك واتخاذك للرأي، وأنت لا تشعر بكل ما تقدمه إليك، فلو عملت ما عملت من إحسان، فلن ولن توفي لها ذلك الحق العظـــيم، لأنهـــا تعمـــل لخدمتك وتتمنى بقاءك وأنت تعمل من أجل ذهابها.

وتأمل هذا الحديث الذي يرويه أبو بكرة رضـــي الله عنـــه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصـــاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغـــي وقطيعـــة الرحم**» رواه أبو داود وصححه الألباني.

وهل هناك قطيعة وبغي أعظم من عقوق الوالدين؟ وعلى كل حال ليس في الأرض أنكد عيش ولا أكسف بالاً ولا أتعس معيشة، ولا أشق وجدان ولا أتعب من عاقّ لوالديه.. فإنه لو حُيزت لـــه الدنيا بحذافيرها فإنه يحس بالضيق والكبت والحسرة والندامة.

فما عليك أخي إلا أن تتق الله في جميع أمورك و تحرص كـــل الحرص على رضى الله ثم رضى الوالدين فإنهما ســـعادة في الـــدنيا وجنة في الآخرة «**الزمها فإن الجنة عند رجليها**» وكفكف دمعها وواس حزنها، واستغفر لها فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رســـول الله ﷺ قال: «**إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنى هـــذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك**» وأكثر الدعاء لها فإن الله قريب يجيب دعوة العبد إذا دعاه ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيـــبُ دَعْوَةَ الدَّا عِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

فقد كان ذلك من هدي الصالحين إنهم يتضرعون إلى بـــارئهم أن يوفقهم لبر والديهم، وأن يكون أحدهما راضيًا عنه والشكر لهما فإنهما من صفات المتقين قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [النمـــل: ١٩].

أخي الحبيب: إن وجود والديك نعمة عظيمة وخاصة أمك.. فهي الطريق الذي تستنير به، وينجلي الحزن بابتســـامتها وتتـــولى المسرات بفرحها، وتذكر يوم يصبح القلب مأساة ويفطـــر الكبـــد صباحه، حيث تصبح أو تمسي وقلبك مجروح بفقـــدها أو بفقـــد

والدك، وغيابهما عن ناظرك.. إلى يوم الدين، تأمل تلك اللحظات العصيبة وذلك اليوم الموعود وتلك الساعة الحاسمة التي تقشعر لهـــا الجلود، وتذرف منها العيون، وتتمزق منها الوجـــدان، ويـــذهب الشعور والإحساس، وتتقلب الموازين، ويتغير الحال، ويصبح البيت ضجة وأنين بفقد أمك.. تذكر حالك ويوم عصيانك، وعقوقـــك ويوم أن قلت لها أف ونهرتها وزجرتها وعصيتها وشتمتها كيف بك وأنت اليوم تفارقها وهي قد رأت العذاب من أجلك، وبكت مـــن أجلك، وسهرت و لم تنم من أجلك، وأحسنت إليك وتعبت مـــن أجلك.. ورافقت معك في المستشفى وأنت صغيرٌ وكبيرٌ وقضـــيت حاجتك على يديها، وكل ذلك من أجلك، ماذا تعمـــل في تلـــك اللحظة؟ والمغسل قد أتى والناس من حولـــك يبكـــون، أختـــك وأخوك، أبوك وعمك، وأنت لا تدري من أين تبدأ أو تقول وماذا تفعل.. وطويت الصفحات، وذهبت الحسرات، وماتـــت أمـــيرة الصحبة، وأنيس الغربة، وواحة المعرفة، ماتت أمك صاحبة القلـــب الرهيف، والجسم الضعيف ماتت أمك.. ذل كالحب الصافي والنبع الوافي، كيف يكون الحال.. بعد فراق سيدة الجمال..

إن وجود الأم نعمة عظيمة.. ومنحة كبرى وجائزة عظمـــى فبادر بشكرها وبرها والإحسان إليها، كي لا يفـــوت الفـــوات، وعندها لا ينفع الصوت.. فكما تدين تدان.. وغدًا يـــأتي أبنـــاؤك والجزاء من جنس العمل.

فاحذر أن تُشقي نفسك فتُشقي أبناءك معك و من بعدك.

بروا آباءكم تبركم أبناءكم

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِــهِ شَــيْئًا وَبِالْوَالِــدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦].

وفي الختام:

أرجو أن تكون هذه الرسالة مفتاحاً لكل خير، وأن ينفع بهـــا الغير، وأن تكون عونًا بعد الله إلى تقديم المزيد لطاعة العزيز الحميد، ومن ثم ذلك الكائن الفريد الأم والأب وكل قريب.

وأن ينفع بها صاحبها وقارئها وكل من اطلع عليها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

أخوكم منصور بن عبد العزيز العجيان

ص. ب ٣١٠٣٩ الرياض ١١٤٩٧